تنهر القرآن

الحلقة 14

عبدالوهاب عبدالعزيز العثمان (2/1)

إعداد: مازن خرابة

يعد العمل الخيري والإحسان للآخرين سمة بارزة في الكويت، فمنذ القدم جبل أهل الكويت على حب الخير و حرصوا على الإحسان للآخرين، لمساعدة المحتاجين، وتقرباً إلى الله عز وجل. فكانوا يفرحون بحب الناس، ودعواهم لهم بالخير والفلاح.

فقدم هؤلاء نماذج رائعة في الأعمال الخيرية داخل الكويت وخارجها أبرزها عمارة العديد من المساجد، وكفالة الأيتام، وتأسيس عدد من المدارس الإسلامية.

فأهل الخير والإحسان في الكويت أكثر من أن نحصيهم ونعدهم، وبخاصة في الشدائد والمحن التي ظهر فيها معدنهم الأصيل، إذ تنافسوا في عمل الخير و بذل المعروف، فأنفقوا على الفقراء والمساكين وذوي القربى وأبناء السبيل، وبنوا المساجد والمدارس والمعاهد والمستشفيات ودور الأيتام وحفروا الآبار، فملأت سيرهم العطرة الآفاق، ونحن في «الوسط» سنقوم بنشر سير بعض المحسنين العطرة عبر هذا الشهر الفضيل في حلقات يومية، اقتباساً من كتاب « محسنون من بلدي».

ويعد الكتاب الذي أصدره بيت الزكاة على عدة أجزاء لمحة وفاء، وتوثيقاً لسير المحسنين وتذكرة بأعمالهم الخيرة، وتخليداً لذكراهم العطرة. وسنتوقف عبر هذه الحلقة مع سيرة عبدالوهاب عبدالعزيز العثمان.

عبد الوهاب عبد العزيز العثمان

◆ كان مثل رجال البحر الأشداء ذا عزيمة قوية وإرادة صادقة وقدرة على تحمل المشاق

◆ تحلى بفراسة عجيبة بشهادة من أدركه من النواخذة الذين خالطوه وجالسوه

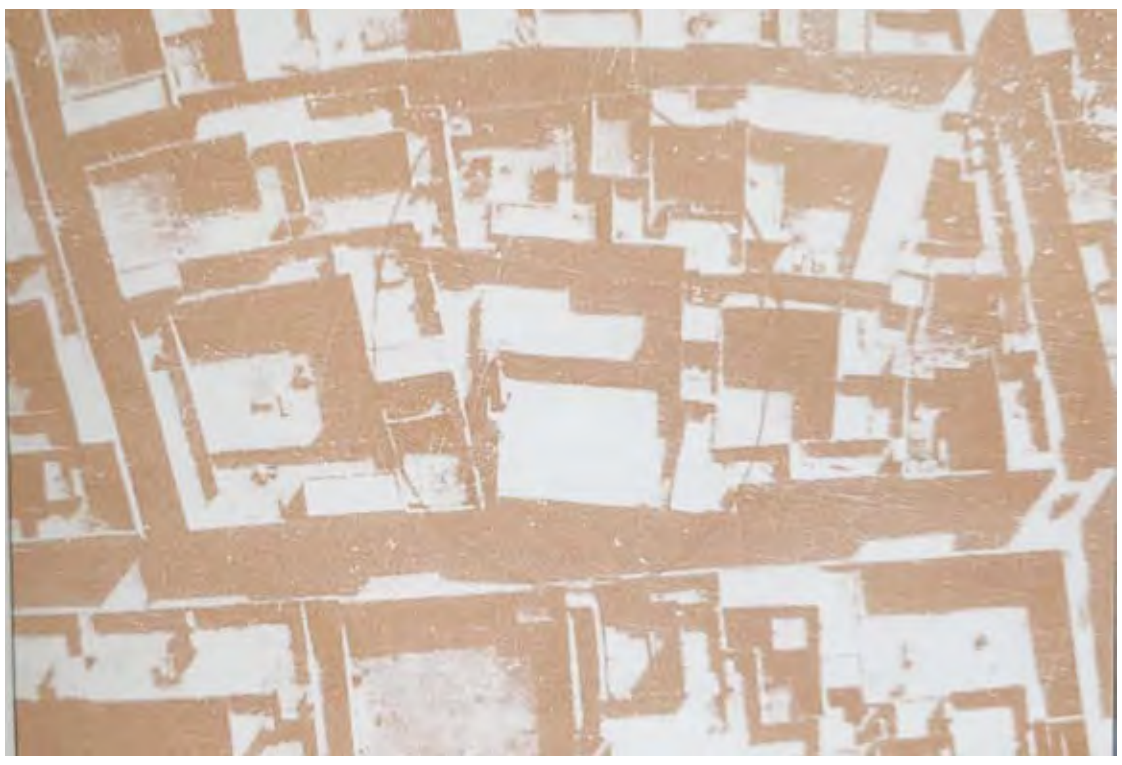
منظر جوي لفريج العثمان بمنطقة القبلة

المولد والنشأة

هو عبدالوهاب بن عبدالعزيز بن عثمان، المولود في منطقة القبلة في مدينة الكويت عام 1323 ه الموافق لعام 1905 م، لُقب بشيخ النواخذة في الكويت لما له من جاه وصيت في هذا المجال.

ينتمي النوخذة عبدالوهاب العثمان إلى عائلة توارثت العمل في البحر أباً عن جد، وهي عائلة كويتية عريقة ارتبط تاريخها بالبحر من أول يوم قدم فيه عميدها عبدالعزيز بن عثمان من نجد، وهو من النواخذة المعروفين في زمانه في الكويت، وتعود أصوله إلى قرية جنوبية سدير (الجنوبية) في منطقة سدير في نجد بالمملكة العربية السعودية، التي ارتحل منها إلى الكويت في حوالي عام 1274 ه (1857 م)، وكان عمره حينئذ اثني عشر عاماً.

وبعد أن وصل إلى الكويت قرر أن يتخذ العمل في البحر مهنة له، إذ كانت الكويت مزدهرة بالتجارة في ذلك الوقت ومشتهرة بحرفة الغوص على اللؤلؤ، وكذلك السفر التجاري بالسفن الشراعية إلى سواحل الخليج العربي واليمن والهند وسواحل إفريقيا.

وقد كان عبدالعزيز بن عثمان ذا طموح كبير، فعمل بكل همة ونشاط في سبيل تحقيق ما وصل إليه من نجاح بعد ذلك، وكان يتمنى أن يمتلك سفينة شراعية تقف أمام منزله على شاطئ البحر، وله في ذلك مقولة مشهورة وهي «لن أتزوج حتى أربط البري».

ولما تجمع لديه ما يكفي من المال اشترى أول سفينة شراعية، وكان يقودها بنفسه للسفر والتجارة ما بين الكويت وموانئ الهند واليمن، ومرت السنوات، وتحقق له مراده بالتوكل على الله تعالى المقرون ببذل الأسباب، فتزوج عبدالعزيز ورزقه الله من البنين:عبدالله وعثمان وعبدالوهاب.

ولعل أبرز مؤشرات الارتباط الكبير لأسرة العثمان بالبحر ما يلي:

– بروز ستة عشر نوخذة للسفر الشراعي في الكويت من هذه العائلة الكريمة، توارثوها أباً عن جد وتناقلوها أخاً عن أخ وجيلاً بعد جيل، وهو أكبر عدد من نواخذة السفر الشراعي برز من عائلة واحدة.

– امتلاكهم أسطولاً كبيراً يعتبر أحد أكبر أساطيل السفر الشراعي الكويتي الذي وصل إلى سواحل الخليج ومسقط واليمن والهند وإفريقيا.

ومن أشهر سفن هذا الأسطول: تيسير ومساعد وموافج والباز وفتح الرحمن، وفتح الكريم، فضلاً عن أبوام الماء (سفن نقل الماء من شط العرب إلى الكويت) الكثيرة، التي لم يحفظ التاريخ أسماءها، بالإضافة إلى أسماء سفن السفر الشراعي الأخرى التي لم يحفظها لنا التاريخ أيضاً مع الأسف.

– تميز عدد لا بأس به منهم بأن طاقمه البحري (اليزوة) جميعه من أهل الكويت، في حين أنه من المشهور استعانة النواخذة الكويتيين بخليط من البحارة الكويتيين وغيرهم من أهل الخليج وخاصة عمان والإمارات العربية المتحدة، قبل تشكيل دولة الإمارات في كيانها الحالي بل قبل ظهور النفط فيها وفي الكويت، وفي ذلك دلالة واضحة على حرص نواخذة العثمان على استقطاب أفضل الكفاءات المحلية، ولو كان ذلك مكلفاً من الناحية المادية.

– تميز أسطولهم بحسن الصنع، لحسن انتقاء الأساتذة والقلاليف، الذين يبنون لهم (يوشرون) سفنهم، وإذا ما قُرن ذلك العامل بعامل ثان وهو حذقهم ومهارتهم البحرية، وعامل ثالث مهم وهو حسن نيتهم وسلامة سريرتهم، كانت هذه العوامل الثلاث مجتمعة من أهم أسباب نجاحهم الكبير في صناعة السفر الشراعي، وكذلك عدم تعرض سفنهم إلى كوارث أو حوادث جسيمة تذكر، إذا ما قيست بعددها الكبير.

وقد أشار د. عبدالمحسن الخرافي في كتابه «النوخذة عبدالوهاب عبدالعزيز العثمان... ريادة عائلة وتميز إنسان » إلى توافق عجيب ولطيف في الوقت نفسه ينم عن الخيرية في آل العثمان، إذ يقول:

قليلاً ما تحدث في هذه الحياة موافقات واضحة تشد إليها الناظرين وتلفت انتباههم لأن مفردات الحياة وأحداثها كثيرة جداً ولا تأتي أحداثها بالضرورة على نسق واحد، غير أننا في حالة نواخذة السفر الشراعي من أسرة العثمان الكريمة أمام حالة لطيفة وعجيبة من حيث التوافق الذي سنحاول تقديم تفسير منطقي وواقعي له.

فمن الجدير بالذكر هنا أنني قد وجدت تزامناً يستحق الوقوف، وتوافقاً يقتضي التأمل بين أن عائلة العثمان قد ضمت أكبر عدد من نواخذة السفر الشراعي وبين أن رجالاتها ونساءها على السواء قد بنوا أكبر عدد من المساجد في الكويت، تبنيها شخصيات من عائلة واحدة، وهذه مناطق الكويت تشهد لهذه العائلة ببذلها في سبيل الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن ضمن ما أمكننا حصره من بيوت الله تعالى التي بناها آل عثمان الكرام تسعة مساجد في مختلف مناطق الكويت وثلاثة خارجها.

ولعل السبب في كثرة المساجد التي بناها آل عثمان واضح وجلي، فالتنوخذ ملكة قيادية غالباً ما ينمو معها طبع الأصالة والكرم وحب الخير والريادة بين الناس، ولا خلاف على أن في بناء بيوت الله تعالى تيسيراً للشعائر التعبدية للناس، وهو أكبر دليل على هذا الحب.

وليس بغريب أن يتوافق كون عائلة العثمان من أكثر العوائل التي ظهر منها نواخذة سفر، وظهر منها أيضاً من بنى بيوتًا لله تعالى، فكان عدد ما بنته من بيوت الله تعالى في الكويت أكبر عدد للمساجد بنته رجالات ونساء من عائلة واحدة في الكويت كما أسلفنا آنفاً.

سجل حافل لعائلة العثمان لا نستطيع حصره في هذه العجالة وقد لخصنا ما تيسّر من كريم مناقبها وأصيل رجالاتها، وكم أخرج رحم الكويت من عائلات عريقة قدمت للوطن رجالات حققوا الإنجازات فكانت كويت الماضي، وكويت الحاضر، وستكون كويت المستقبل إن شاء الله».

تعليمه

كعادة أبناء الكويت في ذلك الوقت التحق عبدالوهاب عبدالعزيز العثمان بالكُتّاب وتعلم فيه القرآن الكريم والحساب والخط، ثم التحق بمدرسة الملا هاشم الحنيان. وقد كان من أساتذته وشيوخه آنذاك السيد هاشم الحنيان والسيد سعد بن شرهان والشيخ يوسف بن حمود والملا عبدالعزيز العنجري، وعندما بلغ السادسة عشرة من عمره اتجه إلى تعلم أصول الملاحة وقيادة السفن الشراعية.

زواجه

بادر عبدالوهاب إلى الزواج، لإيمانه بأهميته في الإسلام، إذا وُجدت القدرة عليه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: « يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ استَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ» رواه الترمذيَ.

وقد تزوج المحسن عبدالوهاب عبدالعزيز العثمان (رحمه الله) ثلاث مرات، ورزقه الله تعالى من زوجتيه الأولى والثانية ذرية طيبة مباركة، بلغت ستة عشر ولداً: عشرة من الذكور، وستاً من الإناث، جميعهم من الصالحين بحمد الله تعالى ومتزوجون وله منهم الكثير من الأحفاد، وقد كان هؤلاء الأبناء والأحفاد بحق نعم الذرية الصالحة.

صفاته الشخصية

كان المرحوم عبدالعزيز العثمان (مثل رجال البحر الأشداء) ذا عزيمة قوية وإرادة صادقة، وقدرة على تحمل المشاق.

وقد أصبح من كبار النواخذة في الكويت، ومن أوفرهم جاهاً وصيتاً، ففرض احترامه على الجميع، ورغم ذلك كان (رحمه الله) كريماً ذا سمعة طيبة وأخلاق حسنة وكان متواضعاً، لا يمدح نفسه ولا يتفاخر بنجاحه في أعماله.

وقد اكتسب هذه الصفات الحميدة من عمله في البحر، فأهل البحر هم أهل شهامة ورجولة، يقتحمون ظلماته ويخوضون غماره ويصارعون أمواجه، ويفنون أنفسهم من أجل سفينتهم، وإن لم يكونوا مُلاكها الأصليين، وهم كذلك أهل أمانة وصدق وإصلاح.

تواضعه

رغم كونه من أشهر النواخذة وأمهرهم في زمانه إلا أنه كان غاية في التواضع، يحترم الصغير والكبير على السواء، ويحظى الجميع بحبه وعنايته، ويتعلم منه الكثيرون.

يقول د. عبدالمحسن عبدالله الخرافي مؤلف كتاب «النوخذة عبدالوهاب عبدالعزيز العثمان... ريادة عائلة وتميز إنسان»: «وكان مما سمعته عنه أنه كان حين يريد إصدار أمر معين تقتضيه مجاري السفر يقف على»النيم»، وهو المكان المخصص للنوخذة، وينتظر حتى فراغهم مما هم فيه من عمل أو نهمتهم (أغانيهم البحرية) المصاحبة لأي إجراء بحري، وعندها ينتبهون على الفور إلى أنه سيصدر لهم توجيهاً (أمَّارية – بفتح الميم وتشديدها) فيقبلون عليه لسماع التوجيه دون أن يلجأ لمقاطعتهم رغم أحقيته بذلك دون حرج.

شفافيته وفراسته العجيبة

كم حمل التاريخ الإسلامي من أعاجيب عن أصحاب الفراسات والتوسم، والقاسم المشترك بينهم هو الإيمان بالله تعالى والصدق في التعامل والشفافية في القول والعمل والجدية في أخذ الأمور. قال صلى الله عليه وسلم: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِن فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّه ثُمَّ قَرَأَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ» رواه الترمذيَ.

وقد كان المرحوم النوخذة عبدالوهاب عبدالعزيز العثمان ذا فراسة عجيبة بشهادة من أدركه من النواخذة الذين خالطوه وجلسوا إليه، حيث قالوا عنه إنه كان ذا فراسة قوية، وقدراً من الشفافية يكفي لاكتشاف الصادق من الناس والكذّاب، وله في هذا الباب حوادثٌ عجاب، والتي تدل على دقته وتركيزه ومعرفته لمن يراه من أول مرة.

رعاية الله له

لقد كانت رحلاته (رحمه الله) تحظى بالكثير من التوفيق والعناية الإلهية. ومن عجيب ما يروى في ذلك ما ذكره د. يعقوب يوسف الحجي الباحث في التراث البحري الكويتي في كتابه «نواخذة السفر الشراعي في الكويت والخليج العربي»، قائلاً : ذكر لي النوخذة عبدالوهاب أنه تعرض مرة لعاصفة بالقرب من ساحل فارس، فأمر بإنزال الأشرعة وجعل السفينة «تيسير» تحت رحمة الله تعالى تسوقها الرياح والأمواج وهي، «مدبرة»

ولما أتى عليهم صباح اليوم التالي كانوا بالقرب من جزيرة «أرزنة» بالقرب من دولة قطر، فمكثوا في البندر حتى تحسنت الظروف الجوية، ثم أبحروا عائدين للكويت.

غلاف كتاب «النوخذة عبدالوهاب عبدالعزيز العثمان... ريادة عائلة وتميز إنسان